شرعية الاختلاف الإنساني:

الأصول التكوينية والمقاصد التشريعية

الدكتور: محمّد الصادقي العماري

رئيس مركز تدبير الاختلاف للدراسات والأبحاث

المملكة المغربية

المنارة للاستشارات

المقدمة:

إن الاختلاف من القضايا التي يساء فهمها واستيعابها، لكن إذا تتلمذنا لخطاب الشرع، وبذلنا الجهد، بل ستفرغنا الوسع، في تتبع موارد هذه القضية في نصوص الوحي، واجتهادات علماء الصناعة الأصولية، على مستوى التنظير والتقعيد، وعلى مستوى التفعيل والممارسة، يتضح لنا النظر الشرعي للحق في الاختلاف وشرعيته، وشرعية الاختلاف –وفق النظر الشرعي– تتأسس على أصول تكوينية، ومقاصد تشريعية.

اقتضت إرادة الله التكوينية، أن يكون الناس مختلفين في عقولهم، ومداركهم، وميولاتهم النفسية، واستعداداتهم الفطرية، وقدراتهم الجسمية .. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ..﴾(هود: 118)، وهذا الاختلاف لا دخل لهم فيه، بل هو طبيعي فيهم، مخلوق فيهم ابتداء، مركوزا في فطرهم، يقول ابن عاشور: "الاختلاف دائم بينهم لأنّه من مقتضى ما جبلت عليه العقول"[1]، وحكم الله به عليهم في الأزل، يقول الإمام الشاطبي في شأن الاختلاف الواقع بين الخلق أنه: "سبق به القدر حتم عليهم ما هم عليه من الاختلاف"[2].

لكن هذه الإرادة التكوينية في اختلاف الناس، وتباينهم في الأفكار والمعتقدات..، لها مقاصد تشريعية، ومصالح إنسانية يجب أن تعرف، لأن معرفتها تساعد على فهم الاختلاف، وتدبيره، والاستفادة منه، يقول السعدي: "ومن عنايته بعباده ورحمته بهم أن قدر ذلك الاختلاف لئلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب ويفوت كثير من المقاصد والمطالب"[3].

1- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، 189/12.

2- الاعتصام، الشاطبي، 1/ 16-17.(بتصرف)

3- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 639/1.

المنارة للاستشارات

وبناء على ما سبق، فإن للاختلاف الإنساني أصول تكوينية، ومقاصد تشريعية، عليها تتأسس شرعية الاختلاف، والحق فيه، فالله عز وجل أراد الاختلاف كونا، وحكم به بين الناس، سواء كان اختلافا في الأديان، والشرائع، والأفكار..، أو في الألوان، والألسن، والقبائل...، فكل ذلك مشيئة إلهية قدرية كونية، لكن وجه الإنسان إلى تلمس مقاصد هذا الاختلاف التشريعية ومنها: التعارف والتعاون..، وقد جاء في الشرع ما يدل على هذه المقاصد والتنبيه عليها، في سياقات مختلفة، وأهم هذه السياقات: سياق تنبيه الخلق إلى أن اختلاف الشعوب والقبائل مقصده التعارف، وسياق اختلاف الظواهر الكونية مقصده التكامل، والجمال، واهتداء الإنسان إلى الإيمان بوحدانية الله وبوجوده ..

وبالوقوف على الأصول التكوينية للاختلاف، ومقاصده التشريعية، وفق النظر الشرعي، يتم الاهتداء لحقيقة الاختلاف، وشرعيته، وبذلك نؤسس لفهم جديد للاختلاف الإنساني، متجاوزين بذلك كل دعاوى الصراع والصدام والنزاع ..، إلى مفاهيم أخرى تستمد أصالتها من القرآن والسنة، وهي: التدافع، والمسارعة للخيرات، والتعاون، والتعارف ..

وعليه نتناول مضامين هذه الورقة بالدراسة والتحليل، في مقدمة، ومحورين اثنين، وخاتمة:

المقدمة:

المحور الأول: الأصول التكوينية للاختلاف:

أولا: اختلاف الظواهر الكونية:

ثانيا: اختلاف الشرائع السماوية والوضعية:

ثالثا: اختلاف الادراكات العقلية:

رابعا: اختلاف الميولات النفسية:

المحور الثاني: المقاصد التشريعية للاختلاف:

المنارة للاستشارات

أولا: التعاون على البر والتقوى:

ثانيا: التعارف الثقافي والتبادل الحضاري:

ثالثا: الابتلاء والاختبار:

رابعا: اهتداء الإنسان إلى الإيمان الحق:

خامسا: اهتداء الإنسان إلى حقيقة الاختلاف:

الخاتمة.

المحور الأول: الأصول التكوينية للاختلاف:

للاختلاف الإنساني أصول تكوينية تؤسس لشرعيته، هذه الأصول تعتبر مداخل لفهم الاختلاف، وفقهه الفقه الصحيح، ومن هذه الأصول: اختلاف الظواهر الكونية والطبيعية، واختلاف الشرائع السماوية والوضعية، واختلاف الادراكات العقلية، واختلاف الميولات النفسية.

أولا: اختلاف الظواهر الكونية:

إن الإيمان بشرعية اختلاف الناس والأمم ..، يستلزم الإيمان بأصل اختلاف الظواهر الكونية، لأنه المقدمة الأولى المؤسسة لشرعية الاختلاف في القرآن الكريم، وممهدة لقبوله، والاعتراف به بين البشرية، فمن أنكر هذه الحقيقة، سينكر اختلاف الناس والأمم .. ضرورة.

اختلاف الظواهر[1] الكونية مشيئة إلهية، أرادها الحق سبحانه كونا، تأسيسا لشرعية الاختلاف والتنوع والتباين، والآيات القرآنية الدالة على هذا الأصل الكلي كثيرة، وما يميز الخطاب القرآني الدال على هذا الأصل أمران:

1- والمقصود بالظواهر، كل ما ظهر بارزا للبصر والبصيرة، من غير خفاء، تقول ظهر الشيئ: إذا حصل على ظهر الأرض، من غير خفاء، وعكسه ما يقع في بطن الأرض فيخفى، والظهر ضد البطن، وجاء هذا المعنى في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾(غافر:26) وقوله: ﴿نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً﴾(لقمان:20) يعني بالظَّاهِرَة: ما نقف عليها، وبالباطنة: ما لا نعرفها، .. وقوله:

المنارة للاستشارات

الأمر الأول: ورود الخطاب في سياق حجاجي برهاني، لذلك عبر الخطاب القرآني عن هذه الظواهر الكونية ب"الآيات"، أي "الآيات الكونية القدرية بمعنى العلامة"[1].

والأمر الثاني: دلالة الخطاب بالنص الصريح على هذا الأصل، من غير اجتهاد، ولا تكلف تأويل.

ولوضوح هذه الحقيقة وجلائها في الخطاب القرآني، يمكن لقارئ القرآن الكريم الوقوف على هذا المعنى بغض النظر عن مستواه الفكري، أو ثقافته الشرعية، نقتصر على ذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران:190)، وقال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾(النحل:13)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾(التوبة:33) يصحّ أن يكون من البروز .. ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت:502هـ)، مادة: ظهر، ص:540-541. معجم ألفاظ القرآن الكريم، وضع: مجمع اللغة العربية، مادة: (ظ ه ر)، ص: 732. مختار الصحاح، الرازي، مادة: (ظ ه ر)، ص:197.

1- يقول الشنقيطي: "أن لفظ "الآية" يطلق في اللغة على معنيين: الأول: إطلاق "الآية" بمعنى العلامة وهو المشهور في كلام العرب، والثاني: بمعنى الجماعة يقال جاء القوم بآيتهم أي بجماعتهم. أما إطلاقها في القرآن الكريم على معنيين أيضا: الأول: إطلاق الآية على الشرعية الدينية، كآيات القرآن العظيم، ومنه قوله هنا: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾. وأما الثاني: فهو إطلاق الآية على الآية الكونية القدرية كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(آل عمران:190). أما الآية الكونية القدرية فهي بمعنى الآية اللغوية التي هي العلامة، لأن الآيات الكونية علامات قاطعة، على أن خالقها هو الرب المعبود وحده. وأما الآية الشرعية الدينية، فقال بعض العلماء: إنها أيضا من الآية التي هي العلامة، لأن آيات هذا القرآن العظيم، علامات على صدق من جاء بها، لما تضمنته من برهان الإعجاز، أو لأن فيها علامات يعرف بها مبدأ الآيات ومنتهاها. وقال بعض العلماء إنها من الآية بمعنى الجماعة، لتضمنها جملة وجماعة من كلمات القرآن وحروفه". ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، 7/187-188. (بتصرف).

المنارة للاستشارات

الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾(الإنعام:141) فمختلفا أكله هي حال من الزرع، عامة، وأن النخل والجنات كذلك يصيبها هذا الاختلاف، والمقصود التذكير بعجيب خلق الله، وهي سنة الاختلاف في الطبيعة.

فهذه الآيات –وغيرها كثير في القرآن–، وإن تعددت سياقاتها، وتنوعت عباراتها، تدل على معنى مشترك، مفاده تنبيه المجتمع الإنساني، وخصوصا أولو الألباب، والعقول، والفطر السليمة، إلى هذا الاختلاف الحاصل في الظواهر الكونية، وإعلامهم بهذه الدلائل، والحجج الحسية الظاهرة المختلفة، التي يقوم عليها فهم وفقه الاختلاف في الرؤية القرآنية.

خلق الله تعالى الظواهر الكونية مختلفة، ويظهر ذلك من التقابل، والتباين، التضاد الموجود بينها، فكل ما في العالم، إن خلا من الضد أو المثل، فإنه لا يخلوا من التركيب – جوهر وعرض– يقول الراغب الأصفهاني في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(الداريات:49): ".. فبين أن كل ما في العالم زوج من حيث أن له ضدا أو مثلا ما أو تركيبا ما بل لا ينفك بوجه من تركيب، وإنما ذكر ههنا زوجين تنبيها أن الشيء وإن لم يكن له ضد ولا مثل فإنه لا ينفك من تركيب جوهر وعرض وذلك زوجان"[1]، في هذه الآية دلالة على زوجية المخلوقات عامة.

يمكن حصر اختلاف الظواهر الكونية –بعد الاستقراء[2]– في جانبين اثنين: الأول: جانب الشكل، والثاني: جانب: الوظيفة.

1– المفردات في غريب القرآن، الأصفهانى، مادة: زوج، ص: 385.

2– يقول الغزالي الاستقراء: "عبارة عن تصفح أمور جزئية، لنحكم بحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات ..". المستصفى من علم الأصول، الغزالي الطوسي(ت:505)، دراسة وتحقيق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط/1، (1417هـ/1997م)، 103/1.

المنارة للاستشارات

يبين القرآن الجانبين معا لاختلاف الظواهر الكونية في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ..﴾(الإسراء:12) فالليل والنهار مختلفان في الشكل: الليل مظلم، والنهار مبصر، ومختلفان في الوظيفة: الليل سكن وراحة للناس ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾(الأنعام:96)، والنهار للعمل وابتغاء الرزق ﴿.. آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(الأنعام:23) يقول الطبري: "ومن حججه عليكم أيها القوم، تقديره الساعات والأوقات، ومخالفته بين الليل والنهار، فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه، وتنامون فيه، وجعل النهار مضيئا لتصرّفكم في معايشكم والتماسكم فيه من رزق ربكم"[1].

واختلفت ألوان وأشكال الخلق في الأرض، من الدواب، والطيور، والشجر[2] .. اختلافا في الطباع، والهيئات، والمناظر،[3] يقول تعالى في ذلك: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل:13)

بل تختلف الوظيفة بالنسبة للظاهرة الكونية الواحدة، كتصريف الرياح، التي يرسلها الله تعالى مرة نافعة تأتي بالمطر وتبشر به: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾(الروم:46)[4]، ومرة حارة، ومرة باردة ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾(آل عمران:117)، ومرة طيبة ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي

1- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، 87/20.

2- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، 215/2.

3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي البيضاوي، 255/14.

4- (الحجر:22) .

المنارة للاستشارات

الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ (يونس:22)، ومرة لينة ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾(ص:36)، ومرة عقيمة ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (الذاريات: 41)، ومرة عذابا تدمر كل شيء بأمر ربها ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ (يونس:22)[1].

جعل القرآن الكريم اختلاف هذه الظواهر في أشكالها، ووظائفها أمرا ضروريا يقول ولي الله الدهلوي: "أما هيئات الكواكب: فمن تأثيرها ما يكون ضروريا كاختلاف الصيف والشتاء، وطول النهار وقصره باختلاف أحوال الشمس، وكاختلاف الجزر والمد باختلاف القمر .."[2].

كلها آيات كونية تؤسس لشرعية لاختلاف، بثها الحق سبحانه في الآفاق، لأهل العقول والألباب، علامات مختلفة في الشكل والوظيفة، تعرف الإنسان بخالقه، وترشده إلى فهم الحكمة من اختلافها، وتعددها، فاختلاف هذه العوالم إشارة قرآنية قوية على الاعتراف بالاختلاف، والتأسيس لشرعيته.

وبهذا تكون هذه الرؤية التأسيسية، قد جعلت من الاختلاف في الظواهر الكونية سنة من سنن الله، وآية من آياته لا تبديل لها ولا تحويل .. يقول رشيد رضا أن من أصول شريعة القرآن الخاصة: "بيان أن للكون سننا مطردة تجري عليها عوالمه العاقلة وغير العاقلة"[3].

ثانيا: اختلاف الشرائع السماوية والوضعية:

يؤسس القرآن الكريم لشرعية الاختلاف الإنساني، باختلاف الشرائع بين الأفراد، والجماعات، والأمم ..، فلم يشأ بإرادته التكوينية القدرية أن يكون الناس

1- (الإسراء:69) .

2- حجة الله البالغة، شاه ولي الله الدهلوي، 51/1.

3- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، 56/1

المنارة للاستشارات

أمة واحدة، على شريعة واحدة، والاستدلال على هذا المعنى كثير جداً في القرآن[1]، يقول تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة:48)، يروي الصنعاني عن معمر عن قتادة: ".. الدين واحد، والشريعة مختلفة"[2].

وقوله تعالى ﴿جَعَلْنَا﴾ فيه دلالة على الإرادة التكوينية القدرية، لأن الجعل في القرآن الكريم إذا أضيف إلى الله تعالى فهو على معنيين: الأول: بمعنى الخلق، والثاني: بمعنى التصيير، والمعنى الأول هو الأصل في الجعل[3]، وبذلك يكون اختلاف الناس في الشرائع والمناهج جعل الإلهي.

ويقول تعالى تأكيدا لهذا المعنى وتكميلا: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، ويعلق ابن تيمية على الآيات السابقة بقوله: "فبين أنه هو جعل المناسك وذكر مواضع العبادات كما ذكر في البقرة الوجهة التي يتوجهون إليها"[4] قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾(البقرة:148)، ويقول تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ

1- قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(هود: 118-119)، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(النحل:93)، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(الشورى:8)، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(المائدة:48)، ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾(النحل:93)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(يونس:99)

2- تفسير القرآن، ابن الهمام الصنعاني،(ت:211هـ)، 192/1.

3- ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين ابن الجوزي، ص: 228-229.

4- مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، 114/19..

المنارة للاستشارات

بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾(الإسراء:84) ويروي الرازي عن الزجاج أن معنى "الشاكلة: الطريقة والمذهب"[1].

فالله عز وجل جعل لكل أمة شرعة ومنهاج، فكان بذلك لليهود شريعة ومنهاج، وللنصارى شريعة ومنهاج، وللمسلمين شريعة ومنهاج[2]، يقول تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ﴾(الحج: 67) يقول ولي الله الدهلوي: "يعني شريعة هم عاملون بها"[3].

فهذه إرادة تكوينية قدرية وليست تشريعية، لأن الحق سبحانه لا يحبها، ولم يأمر بها شرعا، فالحق سبحانه يحب كل ما يأمر به شرعا ويرضاه يقول الباقلاني: "الرضا بالشيء هو المدح له والثناء عليه والإثابة عليه وكونه دينا وشرعا، والله تعالى لا يرضى الكفر بمعنى أنه لا يمدحه ولا يثيب عليه ولا يرضى كونه دينا وشرعا، دون إرادة وجوده وخلقه، فاعلم ذلك"[4]، "فإن الله تعالى قضى بالمعاصي والكفر، بمعنى أنه أراده وخلقه، وقدره، ولا يجوز أن يكون بمعنى أمر به واختاره دينا وشرعا ولا مدحه ولا يثيب عليه .."[5].

ويقول الأشعري: "فإن قال قائل: فهل قضى الله تعالى المعاصي وقدرها؟ قيل له نعم، بأن خلقها، وبأن كتبها وأخبر عن كونها"[6]، فالله عز وجل خلق كثيرا

1- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، الرازي، 37/21.

2- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 200/2.

3- حجة الله البالغة، شاه ولي الله الدهلوي، 159/1.

4- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي الباقلاني، ص:159.

5- نفسه، ص:160.

6- كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الإمام أبي الحسن الأشعري، ص:81. الإبانة عن أصول الديانة، الإمام أبي الحسن الأشعري(ت:330هـ)، ص:46.

المنارة للاستشارات

من الخلق لجهنم ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾(الأعراف:179)، وخلق بعضهم للعبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات:56)[1].

ويقول أبو يعلى الحنبلي: "والله تعالى قضى المعاصي والكفر وقدرهما بمعنى خلقهما وكتبهما على الخلق وأعلمهم بهما، وأخبرهم عنهما لا على معنى أنه أمر بهما، وحكم بإيجابهما وإلزامهما، وأراد أن يكون الكفر منهم غير آمر به، ولا نقول أراد لهم الكفر، لأن هذا يوهم أنه أباحه لهم وجعله حلالا .. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾(الفلق:1-2) فبين أن الشر خلق له"[2].

والشرائع السماوية على كثرتها يقول الإمام الشوكاني: "لم يبق بأيدي أهل الملل منها فيما وجدناه عندهم بعد البحث عن ذلك ومزيد الطلب له، إلا التوراة، والزبور، والإنجيل، وكتب نبوات أنبياء بني إسرائيل"[3].

والقرآن الكريم لم يقتصر في خطابه على ذكر أصحاب الشرائع السماوية، بل ذكر إلى جانبهم شرائع وضعية، والمتأمل في الخطاب الإلهي يجده ذكر فئات الاختلاف ومسمياتها، ودعاهم إلى ضوابط تدبير اختلافاتهم يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ..﴾(البقرة:62)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ..﴾(المائدة:69)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ

1- كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الاشعري، ص:113.

2- المعتمد في أصول الدين، القاضي أبي يعلى الحنبلي، ص: 129.

3- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، الإمام محمد بن علي الشوكاني، ص:5.

المنارة للاستشارات

الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..﴾(الحج:17)[1].

فالخطاب القرآني يذكر المسلمين، واليهود، والنصارى، وهم أهل شرائع سماوية، ويضيف إليهم الصابئة وهم ليسوا أهل شريعة سماوية، والمجوس وهم عبدة النار، والذين أشركوا، ويدعو الجميع إلى ضوابط تدبير هذا الاختلاف الحاصل بينهم وهي: طرفان وواسطة، فأما الطرفان: فالأول: الإيمان بالله تعالى، والثاني: الإيمان باليوم الآخر، أما الواسطة فهي: النبوة.

الأمر الذي يحيل المتدبر للقرآن الكريم على حقيقة قرآنية، ضمن نظرية متكاملة لفقه شرعية الاختلاف، تؤسس لاختلاف الشرائع السماوية، والأديان الوضعية تبعا، وفق الإرادة والمشيئة التكوينية، وتضع لهذه الإرادة والمشيئة التكوينية ضوابط تشريعية –ضمن فقه الائتلاف–، من أجل ضبط وإحكام الإرادة التكوينية بالإرادة التشريعية.

والاستقراء لآيات الكتاب الحكيم، يدلنا على هذا الأصل الكلي المؤسس لشرعية للاختلاف، وهو اختلاف البشرية في الشرائع، والأديان الوضعية، وأن هذا الأصل تقتضيه إرادة الله التكوينية لا التشريعية، لأن الأمر الشرعي يقتضي الدخول في الإسلام، الرسالة الخاتمة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: اختلاف الادراكات[1] العقلية[2]:

1– قد يتبادر للفهم من ظاهر هذه الآيات، نجاة اليهود، والنصارى، والصابئون، والمجوس، والذين أشركوا إذا آمنوا بالله، واليوم الآخر، وعملوا الصالحات، وإن لم يتبعوا خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يعترفوا بنبوته، ولم يعتنقوا رسالته، لكن المتتبع لسياقها، وما يتلوها من آيات، يجد على أن الآيات بصدد تفنيد مزاعم اليهود والنصارى، وليست بصدد التشريع لهاذه الشرائع بعد بعثة الرسول الكريم، وإن كانت فيها إشارة إلى إقرار الاختلاف والإيمان بمشروعيته في الدنيا، والقرآن يدعوا البشرية جمعاء إلى اعتناق الإسلام، واتباع الرسول الخاتم، وهذا ما نعتقده، لكن الحكم في الآخرة إلى الله.

المنارة للاستشارات

الاختلاف الإنساني مشيئة إلهية، لاختلاف المدارك والعقول الإنسانية التي ركبها فيهم[3]، فهي في أصل خلقتهم يقول ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(النحل:93) اقتضت: "مشيئة الله تعالى أن يخلق الناس

1- والتعبير بأن حقائق العلوم تدرك بالعقول، متداول عند أهل الصناعة الأصولية، يقول الجويني: "القول في العلوم ومداركها وأدلتها .. فإنا سنسد حقائق العلوم إلى مدارك العقل". البرهان في أصول الفقه، الجويني(ت:478هـ)، 111/1. ويقول الغزالي العقل: "الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور". إحياء علوم الدين، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، الغزالي(ت:505هـ)، ص:105. ويقول الرازي أن هناك ألفاظ يظن بها أنها مرادفة للعلم وهي ثلاثون ومنها: "الإدراك وهو اللقاء والوصول يقال أدرك الغلام وأدركت الثمرة قال تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾(الشُّعَرَاءِ:61) فالقوة العاقلة إذا وصلت إلى ماهية المعقول وحصلتها كان ذلك إدراكا من هذه الجهة". مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، 222/2. ويقول الماوردي: "واعلم أن بالعقل تعرف حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات". أدب الدنيا والدين، الماوردي(ت:450هـ)، ص:8. ويقول ابن رشد العقل: "ليس هو أكثر من إدراك الموجودات بأسبابها، فمن رفع الأسباب فقد رفع العقل". تهافت الفلاسفة، ابن رشد، ص:785.

2- الراغب الأصفهاني والسمين الحلبي، يذكران لنا إطلاقان للعقل في القرآن الكريم: الإطلاق الأول: "القوة المهيئة لقبول العلم" بمعنى: القوة العاقلة في الإنسان، أي ما يطلق عليه الفقهاء "مناط التكليف"، والإطلاق الثاني: "العلم المستفاد من تلك القوة" بمعنى: المعقول المدرك والمستفاد بواسطة القوة العاقلة. ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، مادة: عقل، ص:577-578. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، 107/3.

3- والقصود بالعقل في هذه الدراسة، العقل "الآلة" أو "الغريزة" أو "الصفة" أو "أداة الإدراك" أو "القوة المهيئة لقبول العلم"، وهي "مناط التكليف"، وكل هذه الألفاظ تعبيرات للعلماء، وخصوصا الأصوليين منهم، على هذه القوة المدركة في الإنسان. ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، مادة: عقل، ص:577-578. العقل وفهم القرآن، الحارث المحاسبي(ت:243هـ)، ص: 201. المستصفى من علم الأصول، الغزالي، 64/1. المسودة في أصول الفقه، آل تيمية، ص:981. البرهان في أصول الفقه، الجويني، 112/1-113. المنخول من تعليقات الأصول، ، الغزالي، ص:45.

المنارة للاستشارات

على هذا الاختلاف الناشئ عن اختلاف أحوال التفكير ومراتب المدارك والعقول"[1]، فالاختلاف يتأسس على اختلاف العقول في الفهم والإدراك للحقائق[2].

ويقول محمد رشيد رضا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ..﴾(يونس:99-101) "علم الله تعالى رسوله بهذه الآيات أن من سننه في البشر أن تختلف عقولهم وأفكارهم في فهم الدين وتتفاوت أنظارهم في الآيات الدالة عليه فيؤمن بعض ويكفر بعض .."[3].

ويقول الغزالي في رده على من أنكر تفاوت العقول بين الناس: "قد اختلف الناس في تفاوت العقل، ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله .."[4]، ويقول أبو سليمان المنطقي: "منازل الناس متفاوتة في العقل وأنصباؤهم مختلفة فيه"[5]، فما يراه شخص أمرا عقليا منطقيا، قد يخالفه غيره في عقلانيته ومنطقيته.

فإن الله تعالى خلق العقل في الإنسان بإرادته التكوينية، يقول الإيجي: "قال الحكماء أول ما خلق الله تعالى العقل"[6]، وليس هو من فعل الإنسان، أكرمه به

1- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 267/14.

2- وقسم طه عبد الرحمان العقل إلى: العقل المجرد، والعقل المسدد، والعقل المؤيد. ينظر: الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، طه عبد الرحمان، ص:66.

3- الوحي المحمدي، ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام، محمد رشيد رضا، ص:274.

4- إحياء علوم الدين، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، الغزالي، ص:103.

5- أخبار العلماء بأخيار الحكماء، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي(ت:646هـ)، ص:71.

6- كتاب المواقف، عضد الدين أحمد الإيجي، 684/2.

المنارة للاستشارات

ليميز بين الأشياء وأضدادها يقول الشافعي إن الله تعالى: "صوب الاجتهاد .. مما فرض عليهم منه، بالعقول التي ركب فيهم، المميزة بين الأشياء وأضدادها"[1].

ونقل الزركشي هذا المعنى عن الشافعي وشرح الصيرفي له: "قال الصيرفي في شرحها: بين الشافعي أن العقل معنى ركبه الله في الإنسان أي خلقه فيه لا أنه فعل الإنسان كما زعم بعض الناس"[2]، فثبت أن العقل جعل إلهي ركبه الله تعالى في الإنسان، فكان "الاختلاف دائم بينهم لأنّه من مقتضى ما جبلت عليه العقول "[3].

نجد في الواقع المحسوس الملموس اختلاف الناس في الإدراك العقلي، فبعضهم أكثر إدراكا من بعض، يقول ابن عاشور: "العقلاء متفاوتون في إدراك الواضح على قدر القرائح والعلوم"[4]، وهذا يدل دلالة واضحة على تفاوت العقول بين الناس، إذ لو كانت متساوية لما وُجد ذلك الاختلاف، والدراسات الحديثة توصلت إلى تعدد الذكاءات واختلافها، إلا أن الواقع البشري أكبر دليل على الاختلاف والتفاوت في العقول بين الجنس البشري، واختلاف العقول أدى بالتالي إلى اختلاف النتائج العلمية.

مع أن العقل البشري يختلف حسب التأثيرات الناتجة عن المحيط، والبيئة، والجو، والعادات، والتقليد .. إلى غير ذلك من التأثيرات الخارجية ..، زيادة على أن من هذه التأثيرات ما هو إيجابي نافع، ومنها ما هو سلبي ضار، فتتعدد المذاهب، والمناهج، والفلسفات، والعقلانيات..

1- الرسالة، الشافعي(ت: 204هـ)، 24/1.

2- البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي الشافعي، 84/1.

3- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 189/12. في سياق تفسير سورة هود الآيتين: 118-119.

4- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور، ص: 21.

المنارة للاستشارات

فإن العقول الإنسانية تتفاوت وتختلف في النظر إلى الحقائق، بحسب موقع كل إنسان، فموقع العالم غير موقع الجاهل، وموقع من تعود البرهان غير موقع من تعود الجدل والمناظرة، وكلاهما غير من تعود الموعظة ..[1].

فإذا ثبت تفاوت الخلق في الإدراك العقلي للحقائق، وثبت أن ذلك واقع فيهم بإرادته التكوينية، فإن هذا الاختلاف في العقول موقع في اختلافات كثيرة، هو أصل قوي من أصول شرعية الاختلاف في الخطاب القرآني.

رابعا: اختلاف الميولات النفسية:

حكمت إرادة الله تعالى التكوينية على الناس بالاختلاف، وذلك لخضوع الإنسان إلى شهواته، وميولاته النفسية، والعاطفية ..، بغض النظر عن كونها مباحة، أو غير مباحة، وأشار القرآن الكريم إلى هذه الإرادة بقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(آل عمران:14) يقول الزمخشري: "المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء .. ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها .."[2].

فإن "الحرص والتعلق بالشهوات والأهواء –وخاصة فيما هو مباح منها– تختلف آراء الناس وتصرفاتهم واختياراتهم"[3]، والشهوة: "أقدم القوى وجودا في الإنسان، وأشدها به تشبثا، وأكثرها منه تمكنا، فإنها تولد معه وتوجد فيه وفي الحيوان الذي هو جنسه .."[4].

1- أزمة العقل المسلم، عبد الحميد أحمد أبو سليمان، ص:138.

2- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، 163/3.

3- التعدد التنظيمي للحركة الإسلامية ما له وما عليه، أحمد الريسوني، ص: 16.

4- كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني، ص:99.

المنارة للاستشارات

ويميز الراغب الأصفهاني في كتابه "الذريعة" بين الشهوة المحمودة، والتي هي من فعل الله تعالى، والمذمومة والتي هي من فعل الإنسان و"قيل: الشهوة ضربان: محمودة ومذمومة. فالمحمودة من فعل الله سبحانه، وهي قوة جعلت في الإنسان لتتبعث بها النفس لنيل ما يظن فيه صلاح البدن. المذمومة من فعل البشر.. وهي استجابة النفس لما فيه لذتها البدنية، والهوى هو هذه الشهوة الغالبة إذا استتبعت الفكرة .."[1].

ويقول رحمه الله تعالى في اختلاف غرائز الخلق: "الناس في غرائزهم مختلفون، فبعضهن جبلوا جبلة سريعة القبول، وبعضهم جبلوا جبلة بطيئة القبول، وبعضهم في الوسط .."[2]، يقول أبو زهرة: "الآحاد يتنازعون استجابة لغرائز كل واحد منهم، إذ أنه حيث استجاب كل واحد لغرائزه، تصطدم إرادته مع إرادة الأخر الذي استجاب هو أيضا لغرائزه، فيكون التناحر حيث تصطدم الشهوات وتتنازع الإرادات وكل يحب لنفسه الاستيلاء على أكبر قدر من المطالب والوصول إلى أقصى ما يحب من الغايات"[3].

ويقول دراز: "إن النفس البشرية جبلت على نزعتي الرضا والغضب، وطبعت على غريزتي الحب والكراهية، والعفو والقصاص، والمثالية تأبى إلا أن تطبع النفس –فحسب– بطابع الرضا والحب والعفو، وهذه هي المثالية الخيالية التي لا طاقة للنفس البشرية بها"[4]، "أليس كل بشر يحب ويكره، ويرضى ويغضب، ويوالي ويعادي، دلني على كائن من البشر لا يبغض ولا يعادي أحدا، أقل لك إنه إذا لا يحب ولا يوالي أحدا، إنه إذا ليس من البشر .. هبه خيرا

1- نفسه، ص:94.

2- نفسه، ص:99.

3- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، ص:46.

4- نظرات في الإسلام، عبد الله دراز، ص: 88.

المنارة للاستشارات

محضا، فهو إذا يحب الحق والخير، وبالتالي يحب أهل الحق والخير ويواليهم، وهو إذا يكره الإثم والباطل، وبالتالي يكره أهل الإثم والباطل ويعاديهم، فإن لم يبغض هؤلاء فكيف يحب أولائك؟ وإذا كانت هذه هي طبيعة النفس الإنسانية فكيف تطالبنا بأن نجرد أنفسنا تجريدا كاملا عن نزعة الكراهية والبغض لأحد من الخلق، أليست هذه مطالبة لنا بما هو فوق طاقتنا، وتكليفا لنا بما ليس في وسعنا، ثم هذه المحبة العالمية المثالية الخيالية، كيف تتفق مع واقعية الإسلام، بل مع وصايا الإسلام؟ أليس من علامة الإيمان الحب في الله والبغض في الله؟"[1].

والميل النفسي يؤثر في التحقيق العلمي، ويغطي على العقل الإنساني ..، يقول أبو زهرة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾(هود:110) "ترتب على إيتاء الله تعالى موسى الكتاب الاختلاف، وهذا يدل على أن الاختلاف ليس ناشئا من ذلك الكتاب، بل هو ناشيء من فساد النفوس وإذا فسدت النفوس لا يقنعها الدليل، ولا يهديها البرهان مهما يكن حاسما .."[2].

فإن الاختلاف لا يمكن إزالته وارتفاعه إلا بزوال الإنسان، لأن الاختلاف من أصل خلقته، وهذا ما يؤسس لشرعية الاختلاف يقول البطليوسي: ".. الاختلاف مركوزا في فطرنا مطبوعا في خلقنا .. لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الخلقة"[3].

1- نفسه، ص: 94.

2- زهرة التفاسير، أبو زهرة، ص:3758-3759.

3- الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، ابن السيد البطليوسي، ص:27.

المنارة للاستشارات

فالاختلاف الجبلة قاضي بالاختلاف والنزاع، بمقتضى إرادة الله التكوينية، فكان الاختلاف علة غائية لخلقهم لقوله تعالى ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(هود:18-19) يقول ابن عاشور أن الله عز وجل لما خلق الناس: "على جبلة قاضية باختلاف الآراء والنزعات، وكان مريدا لمقتضى تلك الجبلة، وعالما به .. كان الاختلاف علة غائية لخلقهم"[1].

القرآن الكريم يؤصل لشرعية الاختلاف بالميولات النفسية، لأن الحق سبحانه خلق للإنسان طاقة حيوية، عبارة عن مجموعة من الغرائز، والحاجات العضوية، تميل إليها النفس الإنسانية، وتكون مدفوعة إلى تلبيتها وإشباعها، فهي إرادة إلهية قدرية حكم بها الله تعالى على الخلق، وهذه الميولات النفسية متعددة، ومختلفة من إنسان إلى آخر، والحرص والتعلق بها -مباحة أو مذمومة- يؤدي إلى اختلاف آراء الناس وتصرفاتهم واختياراتهم، يقول ابن عاشور: "فإن الاختلاف في أصول الأحوال النفسانية يجر إلى تعذر الائتلاف"[2].

وبالجملة، اختلاف الظواهر الكونية، واختلاف الشرائع السماوية والوضعية، واختلاف الادراكات العقلية، واختلاف الميولات النفسية، واختلاف الناس من ذكر وأنثى، واختلافهم في الألسن والألوان، والشعوب والقبائل ..، أصول تكوينة تؤسس لشرعية الاختلاف البشري، وفيها دلالة قوية على الاعتراف بالتنوع والتعدد والتباين .. المثمر والمنتج، ورفض هذه الحقيقة القرآنية الكونية، أو عدم فهمها واستيعابها، يحول خلافاتنا إلى نزاعات وحروب وفتن ..

المحور الثاني: المقاصد التشريعية للاختلاف:

من مقاصد الاختلاف الإنساني، والخلق الإلهي لبني آدم، مختلفين في الألسنة والألوان، والقبائل، والشعوب، والأمم -بالإضافة إلى الأصول التي سبق

1- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 12/189-190.

2- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور، ص: 10-11.

المنارة للاستشارات

ذكرها في المحور الأول- والطبائع، والمعتقدات، والأفكار، والآراء ..، التعاون على البر والتقوى(أولا)، والتعارف الثقافي والتبادل الحضاري، بين الرجال والنساء، بين أهل الأديان والشرائع، بين المذاهب والمدارس الفكرية، بين الدول والشعوب والقبائل ..، بين الحضارة والثقافات .. (ثانيا)، كما أن من مقاصد هذا الاختلاف: الابتلاء والاختبار للخلق(ثالثا)، واهتداء الإنسان إلى الإيمان الحق: وذلك بالنظر في عوالم الكون المختلفة(رابعا)، واهتداء الإنسان إلى حقيقة الاختلاف، أي فهم الاختلاف: وذلك بالنظر إلى أن هذا الاختلاف يهدي إلى سبل وطرق الائتلاف(خامسا).

أولا: التعاون على البر والتقوى:

إن البشرية لو كانت متطابقة، وغير مختلفة، لما كانت هناك أهمية للتعاون، فالتعاون يقتضي التغاير، والتمايز، والتباين، والتعدد في الأفكار والمواقف ..، وهذا ما يعطي للتعاون ثمرته، المفضية إلى التكامل الإنساني، لذلك أمر القرآن بمقصد التعاون، اعترافا منه بمشروعية الاختلاف.

ومقصد التعاون الإنساني، رؤية قرآنية لترك الصراع، والصدام، والنزاع ..، واستثمار الاختلاف يقول الشيخ النورسي أن حكمة القرآن: "تتخذ دستور "التعاون" أساسا في الحياة، بدلا من دستور "الصراع" .. وشأن "التعاون" هو "إغاثة كل للآخر" .."[1]، ويقول عن المدنية التي يقرها القرآن: "دستورها في الحياة: التعاون بدلا من الجدال والصراع، والتعاون من شأنه: الاتحاد والتساند"[2].

ومن أدلة مقصد التعاون الإنساني، تسخير الخلق بعضهم لبعض، فان الإنسان اجتماعي بطبعه، يحتاج في قضاء حوائجه إلى تسخير غيره، والاستعانة به في الأمور التي لا علم له بها، أو لا قدرة له عليها ..، وهذا ما يجعله في

1- كليات رسائل النور(1)، الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ص: 473.

2- نفسه، ص:607.

المنارة للاستشارات

حاجة إلى التعاون مع المخالف يقول تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾(الزخرف:32) يقول السعدي: "وفي هذه الآية تنبيه على حكمة اللّه تعالى في تفضيل اللّه بعض العباد على بعض في الدنيا ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ أي ليسخر بعضهم بعضا، في الأعمال والحرف والصنائع، فلو تساوى الناس في الغنى، ولم يحتج بعضهم إلى بعض، لتعطلت كثير من مصالحهم ومنافعهم"[1].

ويقول ولي الله الدهلوي: "لما كان الناس مدنيين بالطبع، لا تستقيم معايشهم إلا بتعاون بينهم، نزل القضاء بإيجاب التعاون .."[2]، ويقول الراغب: ".. فالتباين والتفرق والاختلاف في نحو هذا الموضع سبب الالتئام والاجتماع والاتفاق، كاختلاف صور الكتابة وتباينها وتعددها الذي لولاه لما حصل لها نظام .."[3].

ويقول سيد قطب إن الإنسانية في التصور الإسلامي: "وحدة تفترق أجزاؤها لتجتمع، وتختلف لتتسق، وتذهب شتى المذاهب لتتعاون في النهاية بعضها مع بعض، كي تصبح صالحة لتتعاون مع الوجود الموحد"[4].

ونص الخطاب القرآني على مقصد التعاون على كل بر[5] وتقوى، والنهي عن كل إثم[1] وعدوان قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ

1- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 764/1.

2- حجة الله البالغة، شاه ولي الله الدهلوي، 160/2.

3- كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص:266.

4- العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، ص:23.

5- يقول ولي الله الدهلوي: "فالبر كل عمل يفعله الإنسان قضية لانقياده للملإ الأعلى واضمحلاله في تلقي الإلهام من الله وصيرورته فانيا في مراد الحق، وكل عمل يجازى عليه خيرا في الدنيا أو الآخرة، وكل عمل يصلح الارتفاقات التي بني عليها نظام الإنسان، وكل عمل يفيد حالة الانقياد ويدفع الحجب". أنظر: حجة الله البالغة، الدهلوي، 114/1.

المنارة للاستشارات

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة:2)[2] والخطاب هنا موجه إلى المجتمع الإنساني بكل أفراده، ومنظماته، وجمعياته، ودوله، وحضاراته وثقافاته ..، قال الإمام القرطبي: "وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى"[3]، ويقول ابن حزم في تأكيد عموم الخطاب للخلق في الأمر بالتعاون: ".. التعاون على البر والتقوى فمتوجه إلى كل اثنين فصعدا .."[4].

وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ يشمل الأعمال الخيرية، والمشاريع الاجتماعية في التعليم، والصحة، الاقتصاد، والإسكان .. وغيرها، "قال ابن خويز منداد في أحكامه: والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه، فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته .."[5]، ولا شك أن هذا تمثيل لا حصر، فكل ما ينطبق عليه مسمى

1- ويقول ولي الله الدهلوي: "الإثم كل عمل يفعله الإنسان قضية لانقياده للشيطان وصيرورته فانيا في مراده، وكل عمل يجازى عليه شرا في الدنيا أو الآخرة، وكل عمل يفسد الارتفاقات، وكل عمل يفيد هيئة مضادة للإنقياد، ويؤكد الحجب". نفسه.

2- وقيل في سبب نزول هذه الآية: "وهذه الآية نزلت عام الفتح حين أراد المؤمنون أن يستطيلوا على قريش وألفافها من القبائل المتظاهرين على صد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عام الحديبية وذلك سنة ست من الهجرة فحصلت بذلك بغضة في قلوب المؤمنين وحسيكة للكفار فقيل للمؤمنين عام الفتح وهو سنة ثمان لا يحملنكم ذلك البغض أو أولئك البغضاء من أجل أن صدوكم على أن تعتدوا عليهم إذ لله فيهم إرادة خير وفي علمه أن منهم من يؤمن كالذي كان وحكى المهدوي عن قوم أنها نزلت عام الحديبية لأنه لما صد المسلمون عن البيت مر بهم قوم من أهل نجد يريدون البيت فقالوا نصد هؤلاء كما صددنا فنزلت الآية". المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 2/149-150.

3- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 6/46.

4- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، 4/129-130.

5- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 6/46.

المنارة للاستشارات

البر والتقوى، يجب فيه التعاون، "وكل عمل يصلح الارتفاقات التي بني عليها نظام الإنسان"[1]، فهو من البر، الذي يجب التعاون عليه.

فكل الأعمال الصالحة والنافعة، الظاهرة والباطنة، الضامنة لحقوق الله، وحقوق الناس، وفعل محاب الله تعالى، واجتناب مكارهه، فهو تعاون على البر والتقوى[2]، "وقال الماوردي: ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له، لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته .."[3]، فالقرآن خطاب هداية الناس، إلى ما يصلح علاقاتهم مع خالقهم، من غير أن يغفل الواجب الاجتماعي والإنساني، المتعلق بعلاقات الناس فيما بينهم، وإدارة اختلافاتهم.

والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، يكون بمحاسبة المفسدين، ورد المعتدين والمغتصبين، وتفعيل القوانين الدولية، بخصوص المخالفات التي تقوم بها بعض دول الاستكبار العالمي، أو المنظمات التابعة لها، وتفعيل القوانين الوطنية والمحلية.

فالواجب ترك العدوان، والتعاون على منعه، ورفضه وإدانته.. يقول السعدي: "﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ وهو التعدي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه"[4].

ثانيا: التعارف الثقافي والتبادل الحضاري:

وإذا كان من مقاصد الاختلاف التعاون الإنساني، فإنه لا تعاون بدون تعارف، فالتعاون الإنساني، لا يقوم، ولا يثمر، إلا على أساس التعارف

1- حجة الله البالغة، الدهلوي،114/1.

2- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 218/1.

3- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 46/6-47.

4- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي 218/1.

المنارة للاستشارات

الإنساني، فلا تعاون حقيقي بدون تعارف[1] يقول الإمام السيوطي في إشارة إلى هذا المعنى: ".. أن الإنسان الواحد وحده لا يستقل بجميع حاجاته بل لا بد من التعاون ولا تعاون إلا بالتعارف .."[2]، وفتح قنوات الحوار والتواصل من أجل التكامل المعرفي والأخلاقي .. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات:13) يقول النورسي: "أي: خلقناكم طوائف وقبائل وأمما وشعوبا كي يعرف بعضكم بعضاً وتتعرفوا على علاقاتكم"[3].

والتعارف معناه تبادل المعرفة والخبرة بين الإفراد، والمذاهب والمدارس الفكرية، وبين الأمم والحضارات ..، لتحقيق البقاء، والرخاء، والهناء للبشرية جمعاء، والتعارف ليس معناه الاجتماع حول طاولة، لتبادل الآراء ليس إلا، بل الحوار الحضاري، أو التعارف بالمفهوم القرآني، يعني ذلك، ويعني بالأساس تبادل المنتجات الحضارية، ذات القيمة الإنسانية، سواء كان إنتاجا ماديا، أو إنتاجا معنويا، يقول طه عبد الرحمن: "ينبغي لكل أمة من الأمم في الواقع الكوني أن تبذل أقصى الجهد في الإتيان بأفضل الأعمال والتصرفات في

1- إذا اختارت أمتين مختلفتين في التعامل الفكري بينهما طريق التعارف، يطلق طه عبد الرحمن على هذه الصورة "الاختلاف اللين". وإذا اختارتا في التعامل الفكري بينهما طريق التعاون فهو "الاختلاف الصلب"، لأن التعاون لا يمنع من إتيان المنكر، ولا يسمح بالتبادل الفكري من جهتين، بل تلقي إحدى الجهتين بفكرها إلى الأخرى، ولا تتلقى منها فكرها، وعليه فإن تدبير الاختلاف تعارفا أفضل من تدبير الاختلاف تعاونا. ينظر: الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، طه عبد الرحمن، ص: 143-144.

2- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن السيوطي، 38/1. رغم أن السياق الذي استعمل فيه السيوطي العلاقة بين التعارف والتعاون مختلف عن سياقنا، إلا أنه يمكننا استعارة هذا المعنى، وتوظيفه في سياق دراستنا.

3- كليات رسائل النور(2)، المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ص: 413.

المنارة للاستشارات

التعامل مع الأمم الأخرى كما يبذله الأشخاص فيها في تعامل بعضهم مع بعض"[1].

والتعارف ضرورة شرعية، لكون أمة الإسلام أمة شهادة قال تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(البقرة:143) ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(المائدة:8).

فالتنوع والاختلاف البشري من ذكر وأنثى، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، متفرقة إلى شعوب وقبائل وأمم، مختلفة الطبائع والأخلاق، مختلفة في المواهب والاستعدادات، مختلفة الألوان والألسنة، مختلفة في الشرائع والمناهج، مختلفة في الفكر والثقافة والحضارة ..، هذا التنوع والاختلاف يقول عبد الله السعدي: "لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون[2]، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف .."[3].

إن الاختلاف والتعدد يفضي إلى التعارف، المفضي بدوره إلى التعاون، لأن المخالف يتطلع إلى قضاء حوائجه، وتحقيق مصالحه من المخالف يقول السيد محمد حسين فضل الله: "فالتنوع هو الوسيلة الفضلى للتعارف، لأنه يفضي إلى

1- الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، طه عبد الرحمن، ص: 174.

2- وكلام عبد الله السعدي هنا ينضاف إلى ما نقلناه عن السيوطي قبل، في معنى تأسيس التعاون على التعارف.

3- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 802/1.

المنارة للاستشارات

انجذاب الإنسان إلى الإنسان الآخر، لبناء علاقات تسد الحاجات الخاصة، وتتبادل الإفادة من الطاقات المتنوعة"[1].

فالتنوع والتعدد لا يقتضي التنازع، والشقاق، والافتراق، والصدام والصراع .. بل يتطلب التعاون القائم على التعارف، من أجل الألفة والوفاق، والقيام بالاحتياجات الإنسانية العامة .. يقول سيد قطب في المقصد من اختلاف الخلق: "﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم .. من ذكر وأنثى .. وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطبائع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات .."[2].

والتعاون والتعارف كما دعا إليه القرآن الكريم، ضرورة اقتضتها المواطنة ووحدة الدار، فلا يمكن بناء الأوطان وتنميتها في ظل الإقصاء أو النزاع الطائفي والديني أو الحزبي، فبناء دولة المؤسسات اليوم تقتضي التعاون، وفتح قنوات التواصل والتعارف، من أجل العيش المشترك يقول محماد رفيع: "فالتعارف أساس دعا إليه القرآن، وضرورة أملتها ظروف المشاركة في الدار أو الوطن بالتعبير العصري، وإعمال لروح الأخوة الإنسانية بدلا من إهمالها، فقد نص القرآن الكريم بإطلاق، ومن غير تقييد ولا تخصيص،(يقصد: الحجرات الآية: 13) أن من مقاصد التنوع بين البشر التعارف والتعاون .."[3].

ثالثا: الابتلاء والاختبار:

1- الاجتهاد بين أسر الماضي وآفاق المستقبل، السيد محمد حسين فضل الله، ص:19.

2- في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب، 3348/26.

3- النظر الشرعي في بناء الائتلاف وتدبير الاختلاف: دراسة تأصيلية تحليلية، محماد رفيع، ص:47.

المنارة للاستشارات

قال تعالى في مقصد ابتلاء الجنس الإنساني بعضه ببعض لاختلافهم: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾(الفرقان:20) يقول الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(الإنسان:3) حكاية لأحد الأقوال في الآية: "معناه إنا هديناه السبيل، ليكون إما شاكرا وإما كفورا أي ليتميز شكره من كفره وطاعته من معصيته "[1].

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(الملك:2)، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(العنكبوت:3)، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾(محمد:31) فإن إرادة الله ابتلاء الخير بالشر، والمهتدين بالضالين .. ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾(آل عمران:141).

فإن الأرض هي دار الابتلاء الإنساني قال تعالى: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾(الأعراف:24) يقول أبو زهرة: "ليست الجنة دار ابتلاء، إنما الأرض هي دار الابتلاء التي يتنازع فيها الخير والشر، والحق والباطل، والبر الفاجر، وهي دار الابتلاء فيها تتجلى عداوة إبليس ومن معه لابن آدم وذريته .."[2]، فإن الأسباب والمسببات موضوعة في هذه الدار لابتلاء الخلق وامتحانهم كيف يعملون، سواء كان ذلك ابتلاء للعقول، أو لنفوس، والآيات الدالة على أن الأسباب إنما هي للابتلاء كثيرة[3].

وقال تعالى في ابتلاء الانسان بالشر والخير ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾(الأنبياء:35) يقول الماوردي: "﴿فِتْنَةً﴾ فيه وجهان: أحدهما: اختبارا.

1- مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، 238/30.
2- زهرة التفاسير، أبو زهرة، ص: 2801.
3- الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، 149/1.

المنارة للاستشارات

الثاني: ابتلاء"[1]، ويقول في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾(البقرة:49): "وأصل البلاء الاختبار في الخير والشر.."[2]، "لأن الاختبار قد يكون بالخير كما يكون بالشر، غير أن الأكثر في الشر"[3]، وقال تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾(النمل:47).

فإن الله تعالى خلق الأزواج، والأضداد للدلالة على الحقائق، فإنه لا يعرف الزوج والضد إلا بزوجه وضده، بالظلمة يعرف النور، وبالشر يعرف الخير، فما بينه الله تعالى وفصله ارتفعت شبهته، وما امتحن فيه الخلق بقيت شبهته قائمة يقول ابن حزم: "فما فصله الله تعالى بأمره ولم يكن إلى المخلوق لعله قامت حقيقته، وارتفعت الشبهة عنه، كانفصال الأرض من السماء، والماء من الثرى، والنار من الرطوبة، والأجسام بعضها من بعض، وما مرجه وامتحن المخلوق بفصله جعل بين حديه البينين، وهما معظم الشيئين، شبهة مشبهة بالشك واليقين، فالشبهة واقعة بين الحق والباطل .."[4].

"فالأزواج والأضداد الجارية في كل موضوع ومخلوق من أمور الدنيا والدين، هي علة الاختلاف الكبرى التي من جهتها وجب النظر، ووقعت كلفة التدبر والتثبت والاشتباه. وكل خطأ وقع في بني آدم فمن هذه الجهة يقع، ومن هذا الأصل ينبعث"[5].

ولم يكن الاختلاف في الشرائع والمناهج كذلك عار عن المقصد والغاية، والتي هي الابتلاء والامتحان والاختبار، ليعلم المطيع من العاصي تأمل قوله

1- النكت والعيون، (تفسير الماوردي)، أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، 447/3

2- نفسه، 118/1. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 141/1.

3- النكت والعيون، (تفسير الماوردي)، الماوردي، 118/1-119.

4- رسائل ابن حزم الأندلسي، 396/4.

5- نفسه، 397/4.

المنارة للاستشارات

تعالى: ﴿.. لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ..﴾(المائدة:48)، بناء على المسؤولية الإنسانية في الاختيار، والجزاء الأخروي ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(الإسراء:13-15).

فإن الأمة التي تختار سبيل الهداية هي أمة مهتدية، والأمة التي تسلك وتختار طريق الضلال هي أمة ضالة، يقول سيد قطب في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ﴾(الحج: 67) ".. فالأمة التي تفتح قلوبها لدواعي الهدى ودلائله في الكون والنفس هي أمة مهتدية إلى اللّه بالاهتداء إلى نواميسه المؤدية إلى معرفته وطاعته. والأمة التي تغلق قلوبها دون تلك الدواعي والدلائل أمة ضالة تزداد ضلالا كلما زادت إعراضا عن الهدى ودواعيه .. وهكذا جعل اللّه لكل أمة منسكا هم ناسكوه، ومنهجا هم سالكوه .."[1].

يقول أبو زهرة في سياق تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾(هود:118) إن استمرار الاختلاف وبقائه بين النوع الإنساني: "ابتلاء واختبار، ليبلو الناس، فمن أراد الخير انتزعه من وسط الشر انتزاعا فيكون به الثواب الجزيل، ومن أراد الشر سار فيه، وأعلام الخير واضحة معلمة، تدعوه إلى سلوكه، فإن ضل فعن بينة، والله من ورائه محيط، ويكون الجزاء لمن ضل عن سبيله جزاء وفاقا لما جنى على نفسه، وعلى الحق"[2].

ويقول كذلك رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾(هود:110): "ولولا أن الله تعالى يمهل الظالمين إلى يوم يبعثون،

1- في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب، 2442/4.
2- زهرة التفاسير، أبي زهرة، ص:3774-3775.

المنارة للاستشارات

ويتركهم يتجادلون، ليزيد ابتلاؤهم لقضي بينهم في هذا الاختلاف وبين الحق الذي لا يحتار فيه أحد، ولكنه تركهم يتعرفونه، لأنه خلقهم ذوى مدارك، ومع كل نفس فجورها وتقواها"[1].

وما يؤكد أن من مقاصد الاختلاف الإنساني: ابتلاء الإنسان واختباره معلمين كبيرين وهما:

1- الآيات الدالة على التدافع الإنساني لتمحيص الحق من الباطل:

2- الآيات الدالة على أن الحكم في الاختلاف أمره إلى الله:

رابعا: اهتداء الإنسان إلى الإيمان الحق:

وعد الله تعالى البشرية بكشف أسرار الكون، وأسرار أنفسهم، حتى يظهر لهم الإيمان الحق، من خلال التفكر والتدبر في الظواهر الكونية المختلفة[2] قال تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت:53) ..

والأفاق: أقطار السماوات والأرض بمختلف مكوناتها، يقول الشوكاني في ما يرويه عن عطاء: "قال عطاء في الآفاق يعنى أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغير ذلك"[3].

عوالم مختلفة تقر الاختلاف وتعترف به ظاهرة طبيعية، وتهدي الإنسان إلى مقصد من مقاصد هذا الاختلاف، وهو حصول الإيمان الحق، وكماله

1- نفسه، ص: 3759.

2- نحيل القارئ على الأصل الأول لشرعية الاختلاف: "اختلاف الظواهر الكونية" في المحور الأول من هذه الدراسة.

3 - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، 599/4. تفسير الجلالين، ص:637 .

المنارة للاستشارات

بالنظر والتدبر في هذه العوالم المختلفة، لأن الله تعالى نصبها أدلة وعلامات على أنه هو الله الواحد المدبر لهذا الكون، لأن اختلاف المحقق للكمال والجمال، لا يمكن أن يكون قد وجد صدفة بدون موجد لا مبدع.

فمقصد الإيمان الحق لا يظهر إلا من خلال النظر في الآيات الكونية المختلفة، والتي بثها الحق سبحانه في الآفاق، من الآيات الفلكية والكوكبية، من شمس وقمر ونجوم، وآيات الليل والنهار ..، وما أودعه فيها سبحانه من تباين واختلاف، للدلالة على الحق الذي أقام عليه الدلائل ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت:53) يقول الفخر الرازي: "والمعنى ألم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله تعالى وقررها في هذه السورة وفي كل سور القرآن الدالة على التوحيد والتنزيه والعدل والنبوة"[1].

فالآيات والظواهر الكونية المختلفة، دليل وحدانية الله وربوبيته سبحانه ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾(فصلت:37)، فجعل القرآن الكريم من مقاصد الاختلاف في الظواهر الكونية، وما بينها من التباين في الأشكال والوظائف، دليلا وعلامة على أعظم حقيقة في الوجود، وهي وحدانيته سبحانه وقدرته[2].

ويذكر القرآن الكريم تجليات هذه القدرة الإلهية في خلق الله للكون بعوالمه المختلفة، في سياق إقامة الدليل الحسي المشاهد على المعترضين ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(لقمان:10-11) فهذا استئناف للاستدلال على من يرى هذه الظواهر الكونية واختلافها ثم

1- مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، 141/27.

2- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 363/15.

المنارة للاستشارات

يعترض على أن الله تعالى هو الخالق لها، "ولذا فإن موقع هذه الآيات موقع دليل الدليل، وهو المقام المعبر عنه في علم الاستدلال بالتدقيق، وهو ذكر الشيء بدليله ودليل دليله .."[1].

ومن مقاصد هذا الاختلاف أنه أحد الدلائل على الإيمان بصحة البعث يقول البطليوسي أن الله تعالى: "نبهنا ألطف تنبيه على ما في هذا الخلاف الموجود في البشر المركوز في الفطر من الحكمة البالغة وأنه جعله إحدى الدلائل على صحة البعث الذي أنكره من ألحد في أسمائه وكفر بسوابغ نعمائه"[2].

خامسا: اهتداء الإنسان إلى حقيقة الاختلاف:

فالله سبحانه وتعالى وإن تفرد بالأحادية، التي ينتفي معها كل تعدد أو اختلاف، أو تنوع، فإن مشيئته اقتضت أن تكون الظواهر الكونية قائمة على التنوع والتباين والاختلاف، المؤسس على النفع البشري الذي تتكامل فيه عوالم الكون وظواهره، فيكون تأسيس القرآن الكريم لاختلاف على أصل اختلاف الظواهر الكونية، تأسيسا لاختلاف مثمر ونافع للبشرية.

وهذا الاختلاف في الشكل والوظيفة للظواهر الكونية، اختلاف ثراء ونماء، وليس عبثا أو اختلاف من أجل الاختلاف فقط، وفي هذا معنى قرآني توجيهي للاختلاف البشري، نحو فهم حقيقة الاختلاف، وتوجهه بالضرورة نحو القضايا المثمرة للعلم والعمل.

فإن اختلاف الثمار وتغايرها في الشكل والطعم، اختلاف تكامل وتوازن، وليس اختلاف تضاد وتنافر، فكذلك ينبغي أن يكون الاختلاف الإنساني،

1- التحرير والتنوير، ابن عاشور،21/145-146.

2- الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، ابن السيد البطليوسي، ص: 26.

المنارة للاستشارات

فالثمار رغم اختلافها تسقى بماء واحد، كاختلاف بني الإنسان في طباعهم، وعقولهم، ومنازعهم .. وأصلهم واحد، يقول العز بن عبد السلام في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الرعد:4) هذا مثال ضربه الله تعالى: "لبني آدم أصلهم واحد واختلفوا في الخير والشر والإيمان والكفر كالثمار المسقية بماء واحد"[1].

فاختلاف الظواهر الكونية، مثلا ضربه الله تعالى لبني الإنسان للاهتداء إلى حقيقة اختلاف التنوع، اختلاف التكامل والتوازن، فالحق سبحانه خلق الاختلاف وخلق جوامع لهذا الاختلاف، فرغم اختلافهم في الخير والشر، والإيمان والكفر، فأصلهم واحد يروي القرطبي عن الحسن في الآية السابقة: "المراد بهذه الآية المثل، ضربه الله تعالى لبني آدم، أصلهم واحد، وهم مختلفون في الخير والشر، والإيمان والكفر، كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد"[2]، فإذ تذكر الإنسان هذه الحقيقة اهتدى إلى سنة الله تعالى في اختلاف الخلق[3].

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾(الروم:22) فهذه الآية تؤسس لشرعية الاختلاف المتصل بالوجود الإنساني في الطبيعة.

واختلاف ألسنة البشر ولغاتهم آية عظيمة، فهم مع اتحادهم في النوع، واتحادهم في الأصل، كان اختلاف لغاتهم آية دالة على ما جعله الله في غريزة البشر، من اختلاف في التفكير المفضي إلى الاختلاف الثقافي والحضاري والديني ..، وأما اختلاف ألوان البشر فهو أية من آيات الله في خلقه، لأن البشر

1- تفسير القرآن(اختصار النكت والعيون للماوردي)، العز ابن عبد السلام، 144/2.

2- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

3- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، ص:135.

المنارة للاستشارات

منحدر من أصل واحد وهو آدم، وإن تعددت واختلفت ألوان بشرتهم، وهذا الاختلاف في الألوان من علله: اختلاف المواطن بالحرارة والبرودة، ومنها التوالد من أبوين مختلفين ..، ومنها اختلاف الأغذية من منطقة إلى أخرى ..، وعليه فإن اختلاف اللغات والألوان، لا يدل على اختلاف النوع الواحد، والأصل الواحد ..، وهذه إشارة قرآنية لمعرفة حقيقة الاختلاف.

الخاتمة

يقترح القرآن الكريم هذا الجواب الحضاري على المجتمع الإنساني، بكل عقائده وأفكاره وطوائفه وأجناسه وقومياته ..، من أجل الإيمان بشرعية الاختلاف، والإقرار به حقيقة تكونية، بمقتضى الجعل الإلهي، والمشيئة الإلهية، وحقيقة تشريعية توجه المجتمع البشري إلى مقاصد الاختلاف، لنفي التعصب والعنف، ليتحول الاختلاف إلى أمر محمود وطبيعي، تتكامل وتتعاون فيه الأفكار المختلفة، لإنتاج المعرفة الحقيقية، والعمل النافع للبشرية، والعيش المشترك في وفاق وسلام، وهذا شرط ضروري، لا تستقيم علاقاتنا الإنسانية وما ينتج عنها من اختلافات بدون تحققه.

وبهذا الأصول التكوينية، والمقاصد التشريعية: أصول تكوينية خلق الله تعالى عليها الوجود والإنسان، ومقاصد تشريعية تسدد الفهم، وتهدي السلوك، وبهذا المنهاج، وبهذه الرؤية، يكون الخطاب القرآني قد أصل لمشروعية الاختلاف، وأعطى الجواب الحضاري، لحل مشكلة الاختلاف والنزاع والصراع .. في المجتمع الإنساني.

المصادر والمرجع:

- القرآن الكريم.
1. إحياء علوم الدين، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، الغزالي(ت:505هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط/1، (1426هـ/2005م).

المنارة للاستشارات

2. أخبار العلماء بأخيار الحكماء، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي(ت:646هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1426هـ/2005م).
3. أدب الدنيا والدين، الماوردي(ت:450هـ)، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، ط/4، (1405هـ/1985م).
4. إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي الشوكاني(1250هـ)، صححه وضبطه: مجموعة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1404هـ/1984م).
5. أزمة العقل المسلم، عبد الحميد أحمد أبو سليمان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة(9)، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، ط/1 (1412هـ/1991م).
6. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور، الشركة التونسية، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط/2، (1985م).
7. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي(ت:1393هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1415هـ/1995م).
8. الإبانة عن أصول الديانة، أبي الحسن الأشعري(ت:330هـ)، دار ابن زيدون، بيروت، لبنان، ط/1، بدون طبعة، بدون تاريخ.
9. الاجتهاد بين أسر الماضي وآفاق المستقبل، محمد حسين فضل الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط/1، (2009م).
10. الاعتصام، الشاطبي، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1408هـ/1988م).
11. الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، ابن السيد البطليوسي(ت:521هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، سورية، ط/3، (1407هـ/1987).
12. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي الباقلاني(ت:403هـ)، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط/2، (1421هـ/2000م).
13. البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي الشافعي(ت:794هـ)، حرره: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط/2، (1413هـ/1992م).
14. البرهان في أصول الفقه، الجويني(ت:478هـ)، تحقيق: عبد العظيم الديب، دولة قطر، ط/، (1399هـ).
15. التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، (1984م).

المنارة للاستشارات

16. التعدد التنظيمي للحركة الإسلامية ما له وما عليه، أحمد الريسوني، دار الكلمة، مصر، القاهرة، ط/1، (1434هـ/2013م).
17. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت:671هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (1423هـ/2003م).
18. الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط/1، (2005م).
19. الرسالة، الشافعي(ت:204هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط/1، بدون طبعة، بدون تاريخ، (1358هـ/1940م) .
20. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/1، (1413هـ/1993م).
21. العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط/13، (1413هـ/1993م).
22. العقل وفهم القرآن، الحارث المحاسبي(ت:243هـ)، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، ط/1، (1391هـ/1971م).
23. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري(ت:456هـ)، تحقيق: الدكتور محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت.
24. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط/3، (1430هـ/2009م).
25. المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، الدار السعودية، جدة، ط/2، (1401هـ/1981م).
26. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية(ت:546)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1422هـ/2001م).
27. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط/3.
28. المستصفى من علم الأصول، الغزالي(ت:505)، دراسة وتحقيق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط/1، (1417هـ/1997م).
29. المسودة في أصول الفقه، آل تيمية، الجد: مجد الدين عبد السلام بن تيمية(ت:652هـ)، الأب: عبد الحليم بن تيمية(ت:682هـ)، الابن الحفيد: أحمد بن تيمية(ت:728هـ)، تحقيق: أحمد بن إبراهيم عباس الذروي، دار الفضيلة، الرياض، ط/1، (1422هـ/2001م).

المنارة للاستشارات

30. المعتمد في أصول الدين، القاضي أبي يعلى الحنبلي، تحقيق: وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت، ط/1، (1986هـ).
31. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى(ت:502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط/1، (1412هـ).
32. المنخول من تعليقات الأصول،، الغزالي(ت:505هـ)، تحقيق: الدكتور محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط/2، (1400هـ/1980م).
33. الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي(ت:790هـ)، شرحه وخرج أحاديثه ووضع تراجمه: عبد الله دراز، خرج آياته وفهرس موضوعاته: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1411هـ/1991م).
34. النظر الشرعي في بناء الائتلاف وتدبير الاختلاف: دراسة تأصيلية تحليلية، محماد رفيع، دار السلام، القاهرة، ط/1، (1433هـ/2012م).
35. النكت والعيون، (تفسير الماوردي)، أبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري(ت:450هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، بدون طبعة، بدون تاريخ.
36. الوحي المحمدي، ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام، محمد رشيد رضا، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط/3، (1406هـ).
37. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي البيضاوي(ت:791هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: محمد صبحي بن حسن حلاق ومحمود أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق، بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط/1، (1421هـ/2000م).
38. تفسير الجلالين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي(ت:864هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت:911هـ) دار الحديث، القاهرة، ط/1.
39. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا(ت:1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1990م).
40. تفسير القرآن للإمام عبد الرزاق بن الهمام الصنعاني،(ت:211هـ)، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط/1، (1410هـ/1989م).
41. تفسير القرآن(اختصار النكت والعيون للماوردي)، العز ابن عبد بن عبد السلام(ت:660هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، (1416هـ/1996م).
42. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي(ت:150هـ)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/1، (1424هـ/2003م).
43. تهافت الفلاسفة، ابن رشد، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط/1، (1964م).

المنارة للاستشارات

44. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي(ت:1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/1، (1420هـ/2000م).
45. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري(ت:310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/1، (1420هـ/2000م).
46. حجة الله البالغة، شاه ولي الله الدهلوي، حققه وراجعه: السيد سابق، دار الجيل، ط/1، (1426هـ/2005م).
47. رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط/1، (1983م).
48. زهرة التفاسير، أبو زهرة(ت:1394هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ.
49. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي(ت:756هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1417هـ/1996م).
50. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني(ت:1250)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط/1، (1414هـ).
51. في ظلال القرآن، سيد قطب(ت:1387هـ)، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط/32، (1423هـ/2003م).
52. كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني(502هـ)، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ط/1، (1428هـ/2007م).
53. كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الإمام أبي الحسن الأشعري(ت:330هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: حمودة غرابة، مطبعة مصر، (1955م).
54. كتاب المواقف، عضد الدين أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط/1، (1997م).
55. كليات رسائل النور، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ط/4، (2004م).
56. مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني(ت:728هـ)، تحقيق: عبد الرحمان بن محمد بن القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (1416هـ/1995م).
57. مختار الصحاح، الرازي(ت:666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط/5، (1420هـ/1999م).
58. معجم ألفاظ القرآن الكريم، وضع: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، جمهورية مصر العربية، القاهرة، (1409هـ/1989م).

المنارة للاستشارات

59. مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، الرازي(ت:604هـ)، دار الفكر، ط/1، (1401هـ/1981م).
60. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين ابن الجوزي(ت:597هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سوريا، ط/3، (1407/1987م).
61. نظرات في الإسلام، عبد الله دراز، (1392م/ 1972م).
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية(ت:546)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، (1422هـ/2001م).

المنارة للاستشارات